دلالة السياق

وأثرها فى الأساليب العربية

إعـداد

دردير محمـد أبو السعود

الأستاذ بقسم اللغويات ووكيل الكلية

تميزت اللغة العربية بدلالة سياق الكلام فيها على فهم المراد من الجمل والعبارات ، والوقوف على المقصود من الاساليب والتراكيب ، ويكون ذلك اعتماداً على دليل أو قرينة حالية أو مقالية أو استناداً إلى الملابسات التى تعتور جو الحديث بين المتكلمين والسامعين .

وهذا السياق قد يبدو فى صورة حذف لبعض أجزاء الكلام ، وقد يبدو فى صورة اتفاق فى الصياغة والبناء ، واختلاف فى دلالة هذا البناء على المعنى المراد . ويمكننا توضيح ذلك على النحو التالى :

أولا : دلالة السياق على الحذف .

من الظواهر التى اتسمت بها اللغة العربية حذف بعض أجزاء الجملة مع بقائها واضحة الأسلوب سليمة الأداء فصيحة التعبير بيد أن هذا الحذف لا يتم إلا بدليل وهذا الدليل يكون على نوعين :

أحدهما صناعى : وهذا يختص بمعرفة النحاة لأنه متصل بالصناعة

اللفظية وذلك كقولهم فى قول الله تعالى : « لا أقسم بيوم القيامة »[1] ، إن التقدير : لأنا أقسم ، لأن فعل الحال لا يقسم عليه فى قول البصريين .

وثانيهما غير صناعى ، وهو نوعان : حالى ومقالى .

فالحالى : مثل قولك لمن رفع سوطا ، زيداً ، بإضمار فعل ، أى اضرب . ومن ذلك قوله تعالى : « قالوا سلاما »[2] أى سلمنا سلاماً .

والدليل المقالى : مثل قولك لمن قال . من أضرب ؟ زيداً . على أن هذا الحذف قد يتناول أجزاء الجملة جميعاً . فقد يحذف حرف الجر ، أو أداة النصب وقد يحذف الفعل أو الفاعل أو المفعول أو هما معاً .

كما أنه قد يحذف المبتدأ أو الخبر ، وأحياناً يحذف الحال أو التمييز أو الموصوف أو المضاف أو غير ذلك . ويتضح ذلك من خلال عرض بعض النماذج فى الصور الآتية :

حذف الجار :

يجوز حذف الجار ، ولكن حذفه ليس كثيراً لأنه عامل ضعيف[3] ، فلا يحذف إلا فى المواضع التى قويت فيها الدلالة ، وكثر فيها استعمال تلك العوامل . وهذا الخافض المحذوف يجىء على أنواع منها :

---

(١) سورة القيامة الآية الأولى.

(٢) الآية ٦٩ هود .

(٣) المغنى ٢ : ١٤٤ .

١ ـ حذف الباء : وذلك نحو قوله تعالى : (يمنون عليك أن أسلموا) [١] التقدير : يمنون عليك بأسلامهم . ونحو قولك : أعجبت أنك قائم ، أى أعجبت بقيامك .

٢ ـ حذف (فى) : وذلك نحو قوله تعالى : (وترغبون أن تنكحوهن) [٢] ، أى فى أن تنكحوهن . أى فى نكاحهن ومثل قول الله تعالى : (والذى أطمع أن يغفر لى) [٣] ، أى فى غفرانه ، فالسياق هو الذى دل على حذف الحرف فى الآيتين .

٣ ـ حذف (على) : ومثل ذلك قول رؤبة وقد قيل له كيف أصبحت؟ قال : خير عافاك الله . التقدير : على خير . ومثل قولك لمن قال لك : على أى شىء انتهى المجلس ؟ الموافقة على كل ما عرض عليه . التقدير : على الموافقة الخ . وهكذا .

حذف الناصب للفعل :

(ا) حذف (أن) الناصبة نحو : خذ اللص قبل يأخذك . ونحو مره يحفرها ، أى قبل أن يأخذك ، وقبل أن يحفرها .

(ب) حذف كى : وذلك نحو قولك : جئت لتكرمنى أى لكى تكرمنى .

---

(١) الحجرات ١٧ .
(٢) سورة النساء من الآية ١٢٧
(٣) الشعراء ٨٢ .

يجوز حذف الفعل :

يجوز حذف الفعل إذا دل عليه سياق الكلام وذلك نحو قولك : زيد ، جوابا لمن قال لك من زارك اليوم ؟ التقدير زارنى زيد ، ومثل قولك : العيد جواباً لمن قال لك من ألقى المحاضرة اليوم ؟ التقدير : ألقاها العميد .

حذف الفاعل :

يحذف الفاعل لدلالة السياق عليه فى الأمور الآتية :

١ - عند بناء الفعل للمجهول نحو : كوفىء المجتهد ، وفتح الباب ، ونحو قوله تعالى : (وخلق الإنسان ضعيفا) (١) أى خلق الله الإنسان ضعيفاً .

٢ - إذا دخلت ما الكافة على الأفعال : (قل وكثر وطال) كفتها عن العمل فلا تحتاج إلى فاعل نحو قلما يحضر الطالب فى موعده وكثرما حدثتكم عن هذه القضية ، وطالما وعدنا بالزيارة ولم يحضر .

٣ - إذا دل عليه الكلام أو الحال المشاهدة (٢) ، نحو : (كلا إذا بلغت التراقى) (٣) ، أى إذا بلغت الروح فالفاعل محذوف لدلالة سياق الكلام عليه .

حذف الفعل والفاعل :

ورد حذف الفعل مع فاعله فى الاستعمالات العربية ، والأحاديث اليومية

---

(١) سورة النساء من الآية ٢٨

(٢) منار السالك ١ : ٢٣٩

(٣) القيامة ٢٦ .

الدائرة على ألسنة المتحدثين . بغية الإيجاز والإختصار ، أو اعتماداً على تقدم ذكرهما فى الكلام أو تحذيراً من وقوع مكروه لو حثا على فعل أمر محبوب ويمكن بيان ذلك على النحو التالى :

١ — فى أسلوب الإشتغال وذلك حين يتقدم اسم ويتأخر عنه فعل عامل فى ضمير الاسم السابق أو فى سببه . نحو : العالم احترمته ، واللص أهنته ، التقدير : احترمت العالم وأهنت اللص وإنما حذف الفعل وفاعله لأنه لا يجمع بين المفسر والمفسر .

٢ — فى أسلوب التحذير نحو : رأسك والسيف ، ونفسك والشيطان أى : ق رأسك واحذر السيف ، واحفظ نفسك واحذر الشيطان .

٣ — فى أسلوب الإغراء نحو : الخير الخير ، الصلاة الصلاة ، الإحسان الإحسان . أى : إفعل الخير وأدرك الصلاة ، واصنع الإحسان .

٤ — إذا أجيب به استفهام بهل نحو : هل حضر الوزير ؟ فيجاب نعم . ومثل أن يقال لك : هل صليت ؟ فتقول : نعم وغير ذلك من المسائل التى يجوز فيها حذف الفاعل مع فعله . وحسبنا ما عرضناه فى هذه المسألة ، لأننا لانريد إلا عرضاً لبعض النماذج . الدالة على تحقيق القاعدة فقط .

حذف المفعول :

ورد حذف المفعول من الجملة كثيراً ، ويتضح حذفه فى الصور الآتية :

١ — إذا دل عليه سياق الكلام نحو قوله تعالى : « ما ودعك ربك وما قلى »[1] . أى وما قلاك فقد حذف المفعول وهو كاف الخطاب لدلالة السياق عليه .

(١) الضحى ٣

٢ - كذلك يحذف الإيجاز والإختصار ويفهم ذلك من السياق كما فى قوله تعالى : « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا »[١] .

٣ - إذا كان يستقبح التصريح بذكره لاستهجانه نحو قول عائشة رضى الله عنها « ما رأى منى ولا رأيت منه » أى العورة .

وهكذا نجد أن المحذوف هو المفعول ، وقد حذف فى هذه النماذج لدلالة سياق الكلام عليه ، ولولا ذلك لما حذف .

حذف الحال :

يكثر حذف الحال لدلالة السياق عليها ويتم ذلك إذا كانت قولا أغنى عنه المقول[٢] ، نحو قوله تعالى : (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم) (٣) أى قائلين ذلك .

وقوله تعالى : (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا) [٤] أى قائلين ذلك . فقد حذف الحال فى الآيتين وأمر ذلك معلوم من دلالة السياق عليهما .

حذف التمييز :

يجوز أيضاً حذف التمييز إذا دل عليه السياق [٥] ، وكثير ما يحدث

---

(١) البقرة ٢٤

(٢) مغنى اللبيب ٢ : ١٥١ والأشمونى ٢ : ١٩٣

(٣) الرعد ٢٣ ، ٢٤ (٤) البقرة ١٢٧

(٥) المغنى ٢ : ١٥٤ وتجديد النحو ٢٤٣

ذلك فى القصص واللغة اليومية مثل قولك : كم صمت ؟ أى كم يوماً ، وكم قرأت أى كم كتاباً ، وكم تعد ولا تنجز ، أى كم وعد ، وهكذا .

حذف المبتدأ :

معلوم أن للمبتدأ هو الركن الأساسى فى الجملة الإسمية ، ومع ذلك فإنه يكثر حذفه إذا دل عليه السياق ويتحقق ذلك فى المواضع الآتيه :

(أ) إذا وقع فى جواب الاستفهام نحو قوله تعالى : (وما أدراك ماهية نار حامية (١)) أى هى نار حامية ، ومثل قولك : ما رأيك فى محمد ؟ فيجاب : شاعر مجيد ، أى هو شاعر مجيد . ويحدث ذلك كثيراً فى المحادثات اليومية بين الناس التى تتم فى الكلام عن الأشخاص أو الأمور العامة فيحذف المبتدأ . لتقدم ذكره ودلالة السياق عليه .

(ب) بعد فاء الجواب ، نحو قوله تعالى : (فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان (٢)) أى : فالشاهد رجل وامرأتان .

ونحو : إن تكرمه فصديقك . أى فهو صديقك ، وإن تجتهد فناجح . أى فأنت ناجح ، وهكذا حذف للمبتدأ لدلالة سياق الكلام عليه .

(جـ) ورد حذفه فى غير ذلك فى مثل قوله تعالى (بل عباد مكرمون (٣)) أى بل هم عباد مكرمون ، ونحو قوله تعالى : (بلاغ فهل يهلك (٤)) أى هذا

---

(١) من الآيتان الأخيرتان من سورة القارعة .

(٢) البقرة ٢٨٢ .

(٣) الأنبياء ٢٦ .

(٤) الأحقاف ٣٥ .

بلاغ . ونحو : عمل جليل ، أى عمله عمل جليل ، وخلق كريم ، أى خلقه خلق كريم ، فقد حذف المبتدأ لدلالة السياق عليه .

حذف الخبر :

جاء حذف الخبر لدلالة السياق عليه فى المواضع الآتيه :

(١) بعد لولا التى لغير التحضيض وذلك نحو قولك : لولا الأزهر لما كان لمصر مكانة بين الدول . أى لولا الأزهر موجود ، ونحو : لولا الاستعمار لساد المسلمون ، أى لولا الاستعمار مهيمن لساد المسلمون . فالخبر محذوف بعد لولا .

(٢) فى جواب الاستفهام وذلك مثل : من حاضر ؟ فيجاب العميد . فالخبر محذوف تقديره المحاضر . وهكذا

(٣) من مواضع حذف الخبر وقوع واو عطف ومعطوف بعد المعطوف عليه دون ذكر الخبر وذلك نحو قولك : زيد قائم وعمرو . التقدير : وعمرو قائم . ونحو : كل شيخ وطريقته ، فالخبر محذوف تقديره مقترنان ، وهذا الأسلوب يكثر استعماله فى المخاطبات اليومية ، والمحادثات العادية التى تتكرر على ألسنة الناس .

حذف المضاف :

يكثر فى الاساليب العربية حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه (١)

---

(١) المغنى ٢/١٤٩ والأشمونى ٢ : ٢٧١ .

لدلالة القرينة وسياق الكلام عليه وذلك نحو قوله تعالى : (وجاء ربك [١] أى : أمر ربك ، وقوله تعالى : (واسأل القرية [٢]) أى أهل القرية .

حذف الموصوف :

كذلك جاء حذف الموصوف كثيراً فى الاستعمالات العربية . وذلك لدلالة القرينة والسياق عليه ويتضح ذلك فى الصور الآتية :

(١) أن يكون الموصوف ظرف زمان أو مكان [٣] نحو : فعلته قريباً ، تريد زماناً قريباً ، وأخرجته بعيداً تريد مكاناً بعيداً .

(٢) أن تكون الصفة هى المقصودة ، وذلك كثير فى القرآن الكريم مثل قوله تعالى . (أن اعمل سابغات [٤]) أى دروعا سابغات ، وقوله جل شأنه (وذلك دين القيمة [٥]) أى دين الملة القيمة ، وقوله عز من قائل : (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا [٦]) أى عمل عملا صالحا .

(٣) أن تكون الصفة مختصة نحو : مررت بعاقل ومررت بأحمق ، أى برجل عاقل وبرجل أحمق .

---

(١) الفجر ٢٢ .

(٢) يوسف ٨٢ .

(٣) الملخص فى ضبط قوانين العربية لابن أبى الربيع ١٦ : ٥٦٠ .

(٤) سبأ ١١ .

(٥) البينة ٥ .

(٦) فصلت ٣٣ .

حذف جملة جواب الشرط :

مما يحذف لدلالة السياق عليه جملة جواب الشرط :

وذلك مثل قوله تعالى : (ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى [١]) أى لكان هذا القرآن . وقوله جل شأنه : (ولولا فضل الله عليكم وأن الله تواب حكيم [٢]) التقدير : لهلكتم ، فقد حذف جواب الشرط فى الآيتين السابقتين لدلالة السياق عليه .

حذف جملة جواب القسم :

يحذف جواب القسم ـ كما حذف جواب الشرط ـ لدلالة السياق عليه ، وذلك مثل قوله تعالى : (ق والقرآن المجيد [٣]) فالجواب محذوف تقديره ليهلكن بدليل قوله تعالى : (بل عجبوا أن جاءهم منذر) ومثل ذلك قوله تعالى : (ص والقرآن ذى الذكر [٤]) أى إنه لمعجز ، أو إنك لمن المرسلين .

هذا : وإنه ينبغى أن يعلم أن الحذف الذى يلزم النحوى ويهمه أن ينظر فيه ويهتم به ، هو الحذف الذى تقتضيه صناعة الإعراب ، وذلك بحذف أحد ركنى الجملة ، أو حذف شرط أو جزء ، أو معطوف أو معطوف عليه ، أو حذف عامل وإبقاء معموله . وما عدا ذلك فمن اهتمام المفسرين كقولهم بحذف الفاعل للعلم به ، أو للجهل به أو للخوف عليه ونحو ذلك .

---

(١) سورة الرعد ٣١ .
(٢) سورة النور من الآية ١٠
(٣) سورة ق ١ و ٢ .
(٤) ص ١ و ٢ .

ثانياً : دلالة السياق على تعيين المراد من الصياغة :

جاءت بعض الأبنية العربية متحدة فى الصياغة والوزنة ، مختلفة فى الدلالة على المعنى المراد . والذى يعين هذه الدلالة ويحددها إنما هو سياق الكلام . ونستطيع أن نبين ذلك من خلال الأبنية الآتية :

١ ـ أسماء الزمان والمكان :

هذان البناءان يصاغان من الثلاثى على وزن (مفعل) بفتح العين مطلقاً ، نحو : مذهب ومشرب ومخرج ومقتل ومكتب ، إلا فى حالتين فإنهما يكونان فيهما على وزن (مفعل) بكسر العين .

(أ) إذا كان الفعل مثالا واوياً صحيح اللام مكسور العين فى المضارع أو مفتوحها ، نحو موعد ومولد .

(ب) إذا كان صحيح اللام مكسور العين فى المضارع نحو : مصيف ومجلس ومعرض وفى كل ما تقدم لا نستطيع التفرقة بين الزمان والمكان إلا بالسياق ، لأنه هو الذى يحدد المراد ويعين المقصود .

فإذا قلت : وقفت موقف على ، وسرت إلى مشرب الإبل ، وخرجت مخرج على ، وسرت إلى مقتل زيد ، وجلست على مكتب المدير ، كان ذلك مكاناً .

وإذا قلت : قابلته مذهب الحجاج ، ومشرب الصائم أذان المغرب ، وكلته مخرج الناس من الصلاة ، وشهر رجب مقتل زيد ، وكلته مكتب الرسالة ، كان ذلك زمانا .

وإذا قلت : الجامع الأزهر موعدنا ، ومكة مولد الرسول ﷺ كان ذلك مكاناً .

وإذا قلت : يوم الخميس موعدنا ، ومولد الرسول ﷺ شهر ربيع الأول كان زمانا .

وإذا قلت : الإسكندرية مصيف جميل ، ومقر مجلس الجامعة مدينة نصر ، ومعرض الكتاب بأرض المعارض . كان ذلك مكانا .

وإذا قلت : أغسطس مصيف جميل ، ومجلس الجامعه يوم الأربعاء من كل شهر ، ومعرض الكتاب فى منتصف شهر يناير كان ذلك كله زمانا

وهكذا تبين لنا أن الزمان والمكان متفقان فى الصياغة ، ولكن تعيين المراد وتحديده لا يتم إلا بواسطة دلالة السياق عليه .

٢ ـ أسماء الزمان والمكان والمفعول والمصدر الميمى :

هذه الأبنية تصاغ من غير الثلاثى على زنة مضارعه[١] بإبدال حرف المضارع ميما مضمومة وفتح ما قبل آخره نحو : مدحرج ومنقلب ومفترق ومصطفى ومنتهى ومستقر ومن ذلك قوله تعالى (يعلم مستقرها ومستودعها)[٢] وقولك : جئتك منقلب الحاج ووقفت فى مفترق الطرق ، وهكذا .

وعلى هذا تتحد صورة أسماء الزمان والمكان والمفعول والمصدر الميمى من غير الثلاثى سواء أكان البناء صحيح اللام أم معتلها . ويفرق بينها حينئذ بالقرائن ، وإن لم توجد قرينة معينة ، فإن الكلمة تحتمل وجهين أو أكثر . مثال ذلك قول امرىء القيس :

---

(١) أنظر شرح الشافية ١ : ١٨٦ والتبيان ص ٧٥ والتسهيل ص ٢٠٧ وكتب الصرف الأصلية والفرعية .

(٢) سورة هود ٦ .

وإن شفائى عبرة مهراقة وهل عند رسم دارس من معول

فكلمة « معول » تحتمل المكان والمصدر الميمى واسم المفعول ، والسياق هو الذى يعين المراد ويحدد المقصود .

هذا : وقد يشارك اسم الفاعل هذه الإبنية فى المعل العين والمضعف نحو : مختار ومحتل والفرق بينهما تقديرى يعتمد على سياق القرائن .

٣ ـ النسب إلى ما آخره ياء مشددة :

إذا أريد النسب إلى ما آخره ياء مشددة بعد ثلاثة أحرف[1] فصاعدا وكانت هذه الياء المشددة زائدة وجب حذفها حتما سواء كانت للنسب كما فى شافعى ، وما لـكى ومصرى ، أو للمبالغة كما فى : دوارى وأحمرى :

أولا تدل على معنى كما فى كرمى وبرى ، أو للوحدة كرومى وعجمى وزنجى فتقول فى النسب إليها جميعها : شافعى وما لـكى ومصرى ودوارى وأحمرى وكرمى وبردى ورومى وعجمى وزنجى بحذف الياء المشددة وجوبا والإتيان بياء النسب مكانها .

وفى هذه الحالة يتحد لفظ المنسوب ولفظ المنسوب إليه . والذى يفرق بينهما إنما هو السياق والقرينة . وعلى أساس هذا الفرق الذى يحدده السياق يختلف التقدير الذى تظهر ثمرته فى مثل : نجاتى وكراسى إذا سمى بهما مذكر فإنهما يمنعان من الصرف لصيغة منتهى الجموع قبل النسب إليهما ، لأن الياء حينئذ تكون من بنية الكلمة .

(١) شرح الشافعية ٢ : ٤٦ وما بعدها . والمقنع ١٥ والجمع ٢ : ١٩٧ .

ويصرفان بعد النسب ، لزوال هذه الياء الأصلية ، وبذلك تخرج الكلمتان من صيغة منتهى الجموع . أما إن سمى بهما مؤنث فيكون منعهما من الصرف للعلمية والتأنيث .

٤ ـ اتحاد الوزن واختلاف المعنى :

من مميزات العربية ـ أيضاً ـ اتفاق الوزن لبعض الأبنية مع اختلاف المعنى وذلك مثل وزن (فعيل) فإنه يجيء دالا على معان عدة[١] .

ولكن الذى يحدد هذه المعانى ويعينها هو السياق . بناء على اختلاف الحروف التى يتكون منها كل لفظ .

ويبدو ذلك واضحاً فى الدلالات الآتية :

١ ـ إن دل ـ ما جاء على هذا الوزن على صوت كان مصدراً نحو : زأر الأسد زئيراً ، ونهق الحمار نهيقاً أو دل على سير نحو : رجل القوم رحيلا .

٢ ـ إن دل على الكثرة والمبالغة فى الحدث كان صيغة مبالغة كسميع وعليم فى قوله تعالى . « إن الله سميع عليم » .

٣ ـ وإن دل وصف ثابت لازم كان صفة مشبهة نحو بخيل وكريم وجميل .

٤ ـ يأتى بمعنى اسم الفاعل كجيء قدير بمعنى قادر فى قوله تعالى : « وكان ربك قديراً[٢] » أى قادراً .

---

(٢) شرح الشافعية ١ : ١٥٥ والتسهيل ١٠٥ والمحمل ٢ : ١٦٧ وشذا العرف ٧٩
(٣) الفرقان ٥٤

٥ - ويأتى بمعنى اسم المفعول كقولهم : رجل قتيل وجريح أى مقتول ومجروح . ويستوى فى هذا البناء المذكر والمؤنث ويعين المراد بذكر الموصوف .

٦ - ويأتى بمعنى مفاعل كجليس وسمير بمعنى مجالس ومسامر .

٧ - ويأتى بمعنى مفعل كحكيم بمعنى محكم فى قوله تعالى : « فيها يفرق كل أمر حكيم[٢] » أى . محكم .

٨ - ويأتى بمعنى مفعل بضم الميم وكسر العين كبديع بمعنى مبدع : فى قوله تعالى : « بديع السموات والأرض[١] » أى مبدع السموات والأرض .

وهكذا نجد من خلال ما تقدم أن الوزن متحد ولكن المعنى مختلف تماماً دل على ذلك السياق الذى ذكر فى إطار اللفظ ، وفهم من خلال عرض الأساليب المعينة والتراكيب الخاصة .

د / دردير محمد أبو السعود
الأستاذ بقسم اللغويات
ووكيل الكلية

---

(١) الدخان ٤ (٢) الانعام ١٠١